بعيدا عن الكهانة التعليمية وإهمالها وغياب دعمها

التربوي المبدع (محمد سعيد) يصنع وسائل التدريس من محتويات البيئة ويتحدى الصعاب

أجرى اللقاء / أحمد حسن العقربي

من المعروف أن رسالة المدرسة لا تقتصر على تلقية المعرفة المجردة وإنما يتعداها إلى إخضاع هذه المعرفة لتصورات العصر الذي يعيشه الطالب .. ولذلك فالرسالة الحقيقية للمدرسة تكمن في اعتبارها أداة فنية فاعلة لبلوغ أهداف مركبة في إطار حس اجتماعي وثقافي ينتصر لصالح جيل المستقبل ويهدف إلى تحقيق أكثر المطالب الحيوية في تحقيق الشخصية المتوازنة جسميا وعقليا ، ولذلك فالمدرسة تحترم القيمة الإنسانية وتجند قدراتها في مساعدة الطفل في اكتشاف مواهبه ومهاراته وإبداعاته .

لقد أثبتت التجارب التربوية الناجحة أن وسائل الإيضاح سواء عن طريق الرسم أو الصور أو المجسمات تساعد على استيعاب الطفل في العملية التعليمية التعلمية , فضلاً عن توفير وسائل الترفيه واكتشاف المواهب يتطلب بالأساس تثبيتها في المنهج الدراسي لتوفير مناخ محبب للدراسة لدى الطفل مثل تعلم الموسيقى وتفهم أغراضها في غرس روح البهجة واكتشاف المواهب وكذلك في تشجيع الهوايات الفنية والحرف من شأنها تنمية القدرات والمواهب الفنية فضلا عن التربية الرياضية لخلق جو جاذب للدراسة وليس طارداً للأطفال .

تجربة تربوية جنوبية ناجحة

هناك تجربة تربوية ناجحة شهدتها مدارس المحافظات الجنوبية في أواخر الخمسينات ومروراً بالستينات حتى نهاية الثمانينات ، حيث كانت المدرسة أشبه بورشة عمل إبداعية فنية وتعليمية جسدت الجانب التعليمي والتربوي في إنتاج وسائل الإيضاح من المواد والأدوات الموجودة في بيئة الطالب وسخر ذلك لربط الدراسة النظرية بالعملية ، وإشراك المعلم والطالب في صنع وإنتاج وسائل التدريس وانعكس ذلك على تطور العملية التعليمية التعلمية ورفع مستوى التعليم لدى الطلاب.

أسباب انحسار تجارب الجنوب التربوية

لكن هذه التجربة انحسرت وكادت أن تنقرض خصوصا بعد عام 1990م ، حيث فقدت المدرسة كثيراً من تقاليدها التربوية والتعليمية والإبداعية ، وعانى المنهج الدراسي من الافتقار للمواد المكملة التي تساعد على نمو شخصية الطفل كحصص الأشغال الفنية والرسم والموسيقى المروّحة على نفس الطلاب ، وكان المدرسون في المراحل الأولى من الدراسة يبدعون في إنتاج وسائل الإيضاح لربطها بتدريس المادة مراعاة للفروق الفردية ، فالأطفال يحبون ويفضلون الرسوم والصور التي تتنوع بأشكال مختلفة كالطيور والحيوانات والأشجار تهدف إلى استيعاب الجمل والعبارات البسيطة التي تتناسب ومستوى الأطفال ، لكن في الفترة الأخيرة وتحديدا بعد التسعينات افتقرت الدروس لوسائل الإيضاح المصنوعة من مواد البيئة ، وأهمل المعلمون إنتاج الوسائل التعليمية المساعدة أصبحت الدراسة جافة لا تساعد على استيعاب الأطفال ولا تحبب الدراسة لهم بل ساعدت أيضا في الاكتئاب النفسي وتسرب الطلاب إلى خارج أسوار المدرسة.

اليوم المدرسي والتذكير بالماضي الجميل

الحقيقة أن في العام الحالي شهدت بعض المدارس الأساسية نشاطا في إقامة المعارض الفنية التربوية والعلمية بمناسبة اليوم المدرسي ، وأعاد البعض من المدرسين المبدعين بطواعية وحب للمهنة بتكريس محتويات المعارض الفنية التربوية المكرسة لليوم المدرسي بعرض إنتاجه من وسائل الإيضاح المدرسية والتي اتسمت ببروعة في الإبداع والتنوع الفني والتشكيلي المكرسة لوسائل الإيضاح بأشكال بديعة وجميلة تحمل أشكالاً ورسوما من مواد البيئة وتحتوي أشكال وصور وزهور تضمنها بالحروف الأبجدية وأدوات الاستفهام لتقريب فهمها لدى الطلاب.

ولنقرب القارئ الكريم والمهتمين إلى أولئك النفر القليل من أصحاب الضمائر والأمانة التربوية النادرة في هذا العصر ، نستعرض وإياكم هذه التجربة التربوية الناجحة للأستاذ التربوي القدير والمبدع الأستاذ / محمد سعيد محمد - مدرس المواد الاجتماعية في مدرسة سيف بن ذي يزن / صيرة - الذي زرته في منزله

لم يساعده أحد في صنع معرض وسائل التدريس الإيضاحية في اليوم المدرسي فحوّل منزله إلى ورشة عمل فنية بديعة

قبل موعد عرض محتويات المعرض الفني التربوي للاحتفاء باليوم المدرسي .. وحينما دلفت باب منزله أحاطني بالترحيب والتسهيل ، إذ لفت نظري غرف منزله التي أشبه بورشة عمل فنيه لإنتاج وسائل الإيضاح المدرسية المتنوعة الأشكال والأحجام والألوان , كما لفت نظري تناثر بقايا المواد الخام المستخدمة في إنتاج الوسائل من أوراق وبقايا من مادة الأسفنج والفلين المستهلكة والخيوط القطنية الرفيعة وخيوط الشواتل فضلا عن الأخشاب الرفيعة وقرط القصب والكلينكس (المناديل الورقية) والصمغ والورنيش وعلب الطلاء وأقلام الحبر الملونة الخاصة بالرسم ,فمجرد ما شاهدتها أعجبت أيما إعجاب بالوسائل المدرسية المنتجة في غرف منزله والتي ارتكزت على الأبعاد الجمالية والإبداعية مما أثار لدي الكثير من التساؤلات حول جماليات التكوين اللوني والهندسي والأبعاد الذهنية لهذه الأشكال البديعية من الوسائل المدرسية.

مناخ إبداعي

أمطرناه بالأسئلة فأجابنا برحابة صدر ، وكان سؤالنا له هذه المرة, بكيفية إقناعه الأسرة أن تجعل هذه الوسائل تكتظ هذه المواد المختلفة المتناثرة بين محتويات منزلك الصغير ؟ أجابني مبتسما : " الذي ساعدني في ذلك هو تفهم الأسرة لطبيعة عملي التربوي ، فنحن كلانا تربويين ومتفاهمين لواجب وأمانة الوظيفة التربوية بل إنها تساعدني في توفير مناخ إبداعي هادئ لإنتاج هذه الوسائل الدراسية كما ترى" .

وعندما سألته: " هل تساعدك الإدارة المدرسية أو إدارة التربية؟" قال لي بحزن : " للأسف لم يساعدني أحد سوى قناعتي وإرادتي وضميري المهني وأمانة الوظيفة ووازعي الديني وإدراكي بأن مهنة التدريس ليست وظيفة ومرتبا, وانما هي مسؤولية وطنية وأخلاقية".

قلت له :" لكن هذا التقليد في إنتاج وسائل الإيضاح من قبل المدرس قد ننسيه المدرسون وأصبح المدرس يلقي دروسه المجردة دون عرض وسيلة إيضاح ويتعذر البعض من المدرسين بأن هموم الحياة المعيشية لم تترك وقتا للمدرس أن يتفرغ في إنتاج وسائل الإيضاح وربطها بالدروس النظرية للطلاب" .

حالة تربوية استثنائية

قلت له : " يبدو انك أنت حالة استثنائية في هذا الزمن التربوي الرديء" , قال لي : " الحمد لله أنا مقتنع أن هذا واجبي وينبغي أن يعمله كل مدرس مخلص لعمله علما أن مدارس زمان كانت سباقه في إنتاج وسائل الإيضاح المصنوعة محليا من مواد البيئة وموجوداتها " .

ثم طلبت منه أن يحدثنا عن كيف اقتنع بهذه الفكرة ؟ ، فأجاب قائلا : " من المعروف أن الأنشطة المدرسية بشكل عام مرت بفترات ركود بحكم الأوضاع التي مرت بها البلاد , أما كيف جاءت الفكرة؟ , فالحقيقة بدأت عندما أخبرني مدير المدرسة الأستاذ القدير/ عبدالله بادقيل , بأن مدرستنا سيكون لها يوم مدرسي وستكون أنت المشرف على المعرض المدرسي وتفاجأت بهذا التكليف لأن الفترة كانت قصيرة بالنسبة للموعد المحدد ووضع على عاتقي الإشراف والإعداد للمعرض المدرسي مما اضطررت أن أجلس مع بعض الزملاء ، لكن للأسف لم يكونوا متحمسين للفكرة ، ومشاركتهم لم تكن على المستوى المطلوب عدى معلم وهو الأستاذ/ ياسر نجيب الذي أبدى تفهما للفكرة ودعمنا معنويا , واتجهت بعدها للاستعانة بالتلاميذ الذين أبدوا اهتماما ونشاطا وتفاعلا بحكم أن الأفكار التي طرحتها عليهم كانت جديدة ومحببة لهم وتخرجهم خارج جدران وزوايا الفصول , ووجدت تفاعلا منهم , لكن للأسف كانت هناك ضغوط الاختبارات والأعمال الكتابية المكرسة لنهاية الفصل الدراسي الثاني عائقاً حالت دون اكتشاف وصقل واستخراج إبداعاتهم ومهاراتهم ، فوجدت نفسي أتحمل مسؤولية وكنت أمام خيارين , إما أن أقدم اعتذارا لمدير المدرسة أو أضغط على نفسي وأستمر ، فاخترت الخيار الصعب وهو الاستمرار والتغلب على الظروف التي كان يمكن التحجج بها ,وبدأت مرحلة البحث وكانت هناك أفكار في مخيلتي لكن ينقصها الإعداد والمادة والتجهيز واستعنت ببعض المواقع الإلكترونية واستوحيت من بعضها الأفكار الجميلة والمفيدة وبدأت الإعداد وتوفير المواد الخام من البيئة المحلية التي هي بحاجه إلى تدوير بمهارة وإبداع ".

قوة الإرادة والعزيمة سبب للنجاح

وأضاف قائلاً : "وبحمد الله تعالى ومن ثم الاعتماد على قوة الإرادة والتصميم واحتكاما للقناعة والأمانة التربوية والضمير المهني نجحت في إنتاج عدد لا بأس به من وسائل الإيضاح المدرسية النوعية في حجم الأشكال وتنوعها لتحقيق الغرض التربوي وتحبيب المادة الدراسية لدى الطلاب بيسر وأسلوب جاذب في عمل مجسم للمجموعة الشمسية , وشكل لأدوات الاستفهام ومجموعة من الأزهار تجسد الحروف الهجائية في شكل حديقة وأشكال أخرى ناهيك عن رسم الخرائط الجغرافية والتاريخية وهي من هواياتي المفضلة والتي استخدمت فيها الألوان من الطلاء والورنيش ليتم الاستفادة منها بسهولة ويسر ولفترة زمنية ليست بالقصيرة " .

وأردف قائلا : " نطمح ونتمنى أن تتضافر الجهود من إدارة التربية بالمحافظة والمديرية وإدارة المدرسة بتقديم الدعم لمثل هذه الأعمال ليكون دعما دائما وليس موسميا مع قرب الاحتفال باليوم المدرسي" .

قلت له : " هل حصلتم على دعم لمدرستكم ؟ " قال لي بحسرة : " لم نتلق أي دعم من إدارة التربية بالمديرية في إقامة هذا المعرض ولا حتى من المجلس المحلي أو من مؤسسات أو منظمات مدنية ".

وبشأن سؤالنا عن سبب عمله معظم محتويات المعرض في منزلك ولم يكن في المدرسة؟ ، أجاباً : " لم يكن يوجد متسع للوقت للعمل في المدرسة فسخرت كل وقتي وجهدي للعمل داخل المنزل ، علما أني لم أنقطع عن عملي كمدرس في المدرسة ولم أتغيب يوماً واحداً أو أطلب حتى التفرغ من العمل ، مع العلم أني لم أخبر حتى مدير المدرسة بالتجهيزات والأعمال التي أشتغل عليها وشعرت في لحظات بخوف من الفشل لكني واجهته بالتحدي و القناعة التي أعطتني دافعاً لمواصلة العمل ، وقد فاجأت مدير المدرسة وهيئة التدريس ومسؤولي التربية بالمديرية يوم افتتاح المعرض، وبتوفيق من الله عز وجل نجحت ، ولكل مجتهد نصيب ، ونجاحي هو نجاح للمدرسة التي أنتمي إليها ، وقد كان يوما رائعا رغم التعب الذي سبق ذلك اليوم من ترتيبات وتجهيز لصالة العرض ".

ثم وجهنا له سؤال مسك ختام : " ماهي تمنياتكم المستقبلية؟ " ، فأجابنا: " أولاً أتمنى لبلادنا الأمن والاستقرار وأن يعم الخير كل ربوع البلاد وكفانا اقتتالا وسفك دماء ، ثانيا : أتمنى أن تستمر مثل هذه الأعمال وأتوجه بالدعوة لزملائي المعلمين والمعلمات المشاركة الفاعلة ، لأن التعاون والعمل الجماعي سيخلق أعمالا بأفكار مختلفة فلكل منا هوايات ولدينا مهارات مكبوتة لابد أن نخرجها فنشعر بارتياح مما يزيدك من ثقتك بنفسك بأنك قادر على الإنتاج والعطاء ليس فقط داخل الفصل بل وخارجه وأن لا يقتصر تعليمنا على الكتاب أو الكراسة داخل الفصل وبالإمكان أن تحقق أهداف المادة الدراسية بأنشطة داخل وخارج الصف وحتى خارج أسوار المدرسة " .